مصطلح "الاستعارة التهكمية" أو "التلميحية" بين:
"العكس في الكلام" و"التنويع"

الصديق حاجي، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر

❖❖❖❖❖

ملخص

من المصطلحات البلاغية التي كانت محل خلاف بين الدارسين، مصطلح "الاستعارة التهكمية" أو "التلميحية". وعلى ضوء هذا لنا أن نتساءل: ما هو مفهوم الاستعارة التهكمية في اصطلاح البلاغيين؟ وكيف عرض له الزمخشري وعبّر عنه في تفسيره؟ ولم تعددت مسمياته بين: التهكمية أو التلميحية، والعكس أو التعكيس في الكلام، وبين مصطلح التنويع؟ ثم ما هو المصطلح الأنسب لهذا اللون من التعبير ؟

Résumé

Une des notions qui a toujours été sujette à la polémique est celle de «sarcasme » .A partir de ce constat nous allons évoquer dans notre article la problématique soulevée par la notion de «sarcasme», tout en nous attardons sur les différentes acceptions et dénominations proposées par Zamakhchari sans son ouvrage "Tafsir El-Kachaf". Nous allons essayer de cerner les points suivants:

- quelle définition peut-on donner à la notion de sarcasme d'un point de vue stylistique?
- Comment Zamakhchari définit-il la notion de Sarcasme ?
- Pour quoi cette notion est désignée par plusieurs dénominations ?
- Quelle serait la dénomination adéquate pour cette notion ?

❖❖❖❖❖

الاستعارة التهكمية، مفهومها وتعدّد مسمياتها

الاستعارة التهكمية، وتسمّى التلميحية[1] أيضا، وقد جمعها معظم البلاغيين[2] كالسّكاكي بمصطلح واحد ("الاستعارة التهكمية" أو "التلميحيّة")[3]، وهي استعمال الألفاظ الدالة على المدح في نقائضها من الذم والإهانة[4] تهكما بالمخاطب، وإنزالا لقدره، وحطا منه.

قال السّكاكي في تعريفها (ت 626 هـ)؛ هي: "استعارة اسم أحد الضدين أو النقيضين للآخر بواسطة انتزاع شبه التضاد، وإلحاقه بشبه التناسب، بطريق التهكم أو التلميح... ثم ادعاء أحدهما من جنس الآخر، والإفراد بالذكر، ونصب القرينة".[5] ومنهم من يعدّها من العنادية فدل عليها بقوله: "ومن العنادية ما استعمل في ضدّ معناه أو نقيضه ؛ بتنزيل التّضادّ أو التّناقض منزلة التّناسب ـ بوساطة تهكّم أو تلميح"[6] وهكذا يتضح لنا فيما ذكر هؤلاء أن في الاستعارة ما يكون معدودا في التهكم؛ والتهكم في اللغة عبارة عن شدة الغضب على المتهكم به، لما فيه إسقاط أمره، وحطّ منزلته وحاله، واشتقاقه من "تهكّمت البئر: تهدّمت وتهكّم عليه من شدة الغضب مثل تهدّم عليه... وتهكّم علينا: تعدّى. قال:

تهكّم عمرو على جارنا وألقى عليه له كلكلا.

و تهكّم به: تهزّأ به، وقال ذلك على سبيل التهكّم".[7]

قال ابن أبي الإصبع المصري (ت 654 هـ): التهكم في الصناعة عبارة عن الإتيان بلفظ البشارة في موضع النّذارة، والوعد في مكان الوعيد، تهاونا من القائل بالمقول له، واستهزاء به، كقوله تعالى: ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾[8]، وقوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾[9]....».[10]

الاستعارة التهكمية عند الزمخشري وتطبيقاته عليها

لقد تتبّعت كلام الزمخشري حول هذه الاستعارة التي يستعار فيها الشيء لما يناقضه على سبيل التهكم والسخرية أو التلميح، فوجدت أنه لم يذكر في حديثه "الاستعارة التهكمية" بالاصطلاح، وإنما تفهم دلالتها من مضمون كلامه وفحواه؛ ففي ثنايا شرحه وتحليله ذكر أمثلة اشتهرت بالتهكم، فابتكر لذلك التعبير الشائع في اللغة والقرآن مصطلحا جديدا على البحث البلاغي، أطلق عليه في بعض المواضع "العكس في الكلام" تارة، أو "التعكيس في الكلام" تارة أخرى؛ مشيرا إلى أنه مذهب واسع، وأن العرب كثيرا ما يضعون الشيء مكان غيره، ويدّعون للشّيء غير جنسه تبعا لما يمليه تقدير المعنى أو تأويله، وأنّ القوم كثيرا ما يذهبون إلى ذلك، وهم ليسوا بدعا في هذا، فإن غيرهم من الأعاجم قد يعكس في كلامه[11]. والمهم كما يقول أحد الدارسين "أن هذه الاستعارة التهكمية أو التلميحية، لم أجد أحدا من المتقدمين أشار إليها إشارة قريبة أو بعيدة، بل رأينا الزمخشري يذكر صورها، ويجعلها من العكس في الكلام"،[12] وقد جمعت ما تفرّق من كلامه في هذا الشأن، وأنعمت فيه النظر، فخلصت من مجمل ذلك، أن الإمام الزمخشري قد تناول هذا اللون من التعبير، وعرض لهذا النوع من الاستعارة ـ الذي أطلق عليه بعضهم "الاستعارة التهكمية، أو الضدية، وقد تمثلت في عدة مظاهر في تفسيره الكشاف.

مظاهر الاستعارة التهكمية في الكشاف

الأول: أن يصرح بأنها استعارة أو مجاز.

الثاني: أن يطلق عليها في بعض المواضع مصطلح "العكس في الكلام" تارة، أو "التعكيس في الكلام" تارة أخرى، أو عبارة "عكسوا ليتهكموا".

الثالث: أن يكتفي بالإشارة إلى أن في الكلام تهكّما.

الرابع: أن ينظّر لها بأمثلة اشتهرت بأنّها من التهكّم.

المظهر الأول: لقد وجدت في بعض المواضع يصرح بأنها استعارة، أو ما اشتق منها، أو يكتفي بالقول ـ جريا على عادته في الاستعارة إنها مجاز. فقد قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾[13]. " ... وأصل النّزل الفضل، والريع في الطّعام، يقال طعام كثير النّزل، فاستعير للحاصل من الشيء، وحاصل الرزق المعلوم اللّذة والسرور، وحاصل شجرة الزّقّوم الألم والغمّ... يعني أنّ الرّزق المعلوم نزل أهل الجنّة، وأهل النّار نزلهم شجرة الزّقّوم، فأيهما خير في كونه نزلا... ومعلوم أنه لا خير في شجرة الزّقوّم... قيل لهم ذلك توبيخا على سوء اختيارهم".[14]

وواضح من شرحه أن هذا الكلام قد جاء على سبيل الاستعارة التهكمية، وقد زاد أمر هذه الاستعارة وضوحا عندما تكلم عنها فقال: "يقال طعام كثير النّزل، فاستعير للحاصل من الشيء... وحاصل شجرة الزّقّوم الألم والغم... ومعلوم أنه لا خير في شجرة

الزّقّوم... قيل لهم ذلك توبيخا على سوء اختيارهم"، [15] وقريب من هذا المعنى تحليله لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً﴾.[16] قال الزمخشري: "النّزل ما يقام للنّزيل، وهو الضّيف، ونحوه ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.[17]"[18]

ومن الشواهد الكاشفة التي تجزم أن الزمخشري قد عرض للاستعارة التهكمية، في تفسيره معبّرا عن الاستعارة بمصطلح "المجاز"، وعن التهكم أو السخرية، بكلمة "الطنز" ما جاء في تحليله قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾.[19] قال الزمخشري: "كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات، وكان قومه إذا رأوه يصلّي، تغامزوا وتضاحكوا، فقصدوا بقولهم: (أصلواتك تأمرك) السخريّة والهزء؛ والصّلاة وإن جاز أن تكون آمرة على طريق المجاز، كما كانت ناهية في قوله: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ﴾.[20] وأن يقال إنّ الصّلاة تأمر بالجميل والمعروف، كما يقال تدعو إليه، وتبعث عليه، إلاّ أنّهم ساقوا الكلام مساق الطّنز (السخرية)، وجعلوا الصلاة آمرة على سبيل التهكم بصلاته".[21]

وواضح من حديثه في هذا الموضع أنه يتحدث عن الاستعارة التهكمية، وقد صرح بمقصده من ذلك، ويؤيد ما فهمته من كلامه، أنه صرّح بالاستعارة، وعبّر عنها بمصطلح المجاز كعادته حيث قال: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ ﴾[22] ثم نظفر من كلامه بما يؤيد هذا الأمر عندما يحدد الغرض من هذه الاستعارة، بما يدل دلالة قاطعة على أنها "استعارة تهكمية" حيث يقول: "أنهم ساقوا الكلام مساق الطّنز (السخرية)، وجعلوا الصلاة آمرة على سبيل التهكم بصلاته".

وعلى هدي هذه الطريقة في التحليل والاستشهاد يبدو مستغربا ما ذكره ـ محمد محمد أبو موسى عندما قال: "وقد ذكر الدكتور شوقي ضيف أن من إضافات الزمخشري في علم البيان الاستعارة التي سميت بعده بالعنادية...، وظن أن كلام الزمخشري هذا يفيد أن العكس في الكلام من باب الاستعارة، وليس في كلامه ما يدل على هذا، بل إنني تتبّعت كلامه في هذه الصور، وهو كثير لأتأكد من أنه لم يحم بهذا الفن حول الاستعارة، واكتفى بأن جعله من العكس في الكلام، وجعل من هذا الباب أيضا الأساليب التي سماها المتأخرون التنويع."[23]

المظهر الثاني: الذي عبّر فيه عن الاستعارة التهكمية بمصطلح "العكس في الكلام" تارة، و"بالتعكيس في الكلام" تارة أخرى، أو عبارة "عكسوا فتهكموا» فقد ذكره في بعض المواضع، فقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ...﴾[24] يقول الزمخشري: "من عادته عز وجلّ في كتابه أنّه يذكر الترغيب مع الترهيب، ويشفع البشارة بالإنذار، إرادة التنشيط لاكتساب ما يزلف، والتثبيط عن اقتراف ما يتلف، فلما ذكر الكفار وأعمالهم وأوعدهم بالعقاب، قفاه

ببشارة عباده الذين جمعوا بين التصديق والأعمال الصالحة من فعل الطاعات وترك المعاصي...

وأمّا: ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[25] فمن العكس في الكلام، الذي يقصد منه الاستهزاء الزائد في غيظ المستهزأ به، وتألّمه واغتمامه، كما يقول الرّجل لعدوّه: أبشر بقتل ذرّيتك، ونهب مالك ومنه قوله: "فأعتبوا بالصّيلم.[26]" [27]

وبناء على ما ذكره يكون معنى "بشّرهم" أنذرهم "استعيرت البشارة التي هي الإخبار بما يظهر سرور المخبر به للإنذار الذي هو ضدها بإدخاله في جنسها على سبيل التهكّم"، [28] وهو ما يؤيده أحمد مطلوب في معجمه الذي ذكر من أمثلتها قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[29] مكان أنذرهم؛ لأن البشارة إنما تستعمل في الأمور المحمودة، والمراد ههنا العذاب والويل."[30]

ومن الواضح أن التبشير[31] إن جعل حقيقة في الخبر السار، والخبر المسيء كان مستعملا في معناه الأصلي، ولا استعارة فيه ؛ وإن جعل مستعملا في الخبر السار عند الإطلاق، والخبر المسيء عند التقييد بالعذاب كان في الصورة الأخيرة استعارة تهكمية. فمثال التقييد بالمسيء قوله تعالى: ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.[32] ذلك أن البشارة هي الإخبار بما يدخل السرور على النفس، لكنها استعملت في الآية الكريمة بمعنى الإنذار، وهو الإخبار بما يسيء، وفي إنزال التضاد منزلة التناسب استخفاف بعقولهم، وتسفيه لرأيهم.

وتعد هذه الاستعارة تهكمية، لأن الإخبار بالعذاب موضوع له لفظ الإنذار، فتسمية الإخبار بالعذاب تيسيرا، يعد من باب التهكم والاستهزاء بالكافرين.

ومثال التقييد بالسار قوله تعالى: ﴿ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾، [33] ويؤيّد هذا الاتجاه ما جاء في لسان العرب: "... والبشارة المطلقة لا تكون إلاّ بالخير، وإنما تكون بالشّرّ إذا كانت مقيّدة، كقوله تعالى: ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.[34]" [35]

ومن الأمثلة التي ورد فيها مصطلح "التعكيس في الكلام" ما ذكره الزمخشري عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ .﴾[36] قال: "التعكيس في كلامهم للاستهزاء والتهكم مذهب واسع، وقد جاء في كلام الله في مواضع منها: ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾، [37] ﴿ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾، [38] وقد يوجد كثير في كلام العجم والمعنى: إنّك لتقول قول المجانين حين تدّعي أنّ الله نزّل عليك الذّكر".[39]

ويفهم من كلامه، أن هذا اللون من سوق المعاني ليس من خصوصيات اللغة، وإنما هو من خصوصيات الإنسان، ولهذا تجده في كلام العجم، كما تجده في كلام العرب؛ ثم إن هذا العكس تتعدد أغراضه، فقد يكون للسخرية والتهكم كما مرّ بنا؛ وقد يكون للتفاؤل كقولهم: "المفازة" وهم يريدون الصحراء، وهي مهلكة في الحقيقة، وكقولهم:

السليم وهم يريدون اللديغ إلى آخر ما يرد عليه هذا الأسلوب، "و قد ذكر البلاغيون هذه العلاقة في علاقات "المجاز المرسل" فقالوا إن منها مجاز إطلاق أحد الضدين على الآخر، وإن شئت قلت: "تسمية أحد المتقابلين باسم الآخر" كتسمية اللديغ "سليما"".[40]

ومن الشواهد أيضا التي ورد فيها ما اصطلح عليه الزمخشري "العكس في الكلام"، قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾،[41] فأصحاب الأيكة لم يريدوا وصف شعيب عليه السلام بالحلم والرشاد بل أرادوا وصفه بالسفاهة والغي، أي يريدون "السفيه الغوي"، فاستعاروا الحليم الرشيد للسّفه والغيّ على سبيل التّهكّم، ثمّ اشتقوا منها "الحليم الرشيد" بمعنى السفيه الغوّي على سبيل الاستعارة التهكّمية. قال الزمخشري: "وأرادوا بقولهم ﴿ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾[42] نسبته إلى غاية السّفه والغيّ، فعكسوا ليتهكّموا، كما يتهكّم بالشّحيح الذي لا يبضّ[43] حجره، فيقال له: لو أبصرك حاتم لسجد لك، وقيل معناه: إنك للمتواصف بالحلم والرشد في قومك، يعنون: أن ما تأمر لا يطابق حالك وما شهرت به."[44] فالتعبير في الآية الكريمة على سبيل الاستعارة، استعارة الحلم والرشاد للسفاهة والغيّ، حيث استعير للشيء ضده، وذلك بغرض التهكم والسخرية "فعكسوا ليتهموا" على حد تعبير الزمخشري، "وتسمى هذه الاستعارة: الاستعارة العنادية التهكمية".[45]

المظهر الثالث: الذي يكتفي فيه الزمخشري بالإشارة إلى أن في الكلام تهكّما، فقد جاء في بعض المواضع، منها ما قاله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾.[46] قال: "(بشّر المنافقين) وضع بشّر مكان أخبر تهكّما بهم"[47] وقد سار على هذه الرؤية التي ارتآها في بعض المواضع، فقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾[48] والمراد بالعزيز الكريم: الذليل المهان "على سبيل الهزؤ والتهكم بمن كان يتعزّز ويتكرّم على قومه"[49] حيث وردت هذه الآية في سياق يتحدث عن تعذيب المتكبّرين المتجبرين في الدنيا، الذين تكبروا عن عبادة الله فأذلهم الله في الآخرة،و في مخاطبة الذليل مخاطبة العزيز نوع من التهكم والاستهزاء، فأي عزة تلك التي تكون في العذاب والمذلة، ذلك ما يتضح أكثر عندما نورد الآية في سياقها: ﴿ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ [47] ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ[48] ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾.[50] فمعنى (خذوه فاعتلوه) كما يقول الزمخشري: "فقودوه بعنف وغلظة، وهو أن يؤخذ بتلبيب الرجل فيجر إلى حبس أو قتل، ومنه العتل وهو الغليظ الجافي".[51] فلا شك أن استعارة العزة والكرامة للمذلة والمهانة، تهكم واستهزاء بالكافر المتكبر عن عبادة الله، ولذلك كانت الاستعارة هنا استعارة تهكمية. ونحوه ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾.[52] قال الزمخشري: "(فاهدوهم) عرّفوهم طريق النار حتى يسلكوها، هذا تهكّم بهم، وتوبيخ بالعجز عن التناصر بعدما كانوا على خلاف ذلك في الدنيا متعاضدين متناصرين"[53] فالتعبير في الآيات الكريمة ـ كما يقول أحد

الدارسين ـ "على سبيل الاستعارة، استعارة التبشير للإنذار،... والعزة والكرم للذلة والإهانة، ... فقد استعير للشيء ضده، وذلك بغرض التهكم والسخرية، وتسمى هذه الاستعارة: الاستعارة العنادية التهكمية"[54] وقد كثرت أمثلة الاستعارة التهكمية في القرآن الكريم، وخاصة في سياق مخاطبة الكفار والضالين. في حين أشار غيره إلى أن "البلاغيين نقلوا فنّ (التهكّم) إلى علم البديع، وجعلوه من المحسنات المعنوية، وفرقوا بينه وبين "الهزل الذي يراد به الجد" بأن التهكم ظاهره جدّ وباطنه هزل، وهو ضد الثاني، لأن الهزل الذي يراد به الجد يكون ظاهره هزلا وباطنه جدّا".[55]

المظهر الرابع: فقد مثّل فيه للاستعارة التهكمية بأمثلة كثيرا ما تردّدت في بعض كتب البلاغة والتفسير، واشتهرت بالتهكّم. من ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللّهِ ...﴾، [56] قال الزمخشري: «فإن قلت: المثوبة مختصة بالإحسان، فكيف جاءت في الإساءة ؟ قلت: وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريقة قوله: تحيّة بينهم ضرب وجيع.[57] ومنه: ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[58]...".[59]

ويفهم من كلامه أن (المثوبة) حقيقة إن حمل اللفظ على أصل اللغة، فهي مختصة بالإحسان، ومجاز من قبيل الاستعارة التهكمية، إن حمل على مقتضى العرف اللغوي، أو على طريقة الآية الكريمة ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾، ولفظ (الثواب) لا يستعمل في الغالب إلاّ في الخير، وقد يجوز استعماله أيضا في الشّرّ، قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿... فَأَثَابَكُمْ غُمَّاً بِغَمٍّ ﴾[60] (فأثابكم)...

أي فجازاكم الله (غمّا) حين صرفكم عنهم، وابتلاكم بـ (سبب) (غم) أذقتموه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعصيانكم له، أو غما مضاعفا، غما بعد غم، وغما متصلا بغم...".[61]

فأصل الثواب كل ما يعود إلى الفاعل من جزاء فعله، سواء كان خيرا، أو شرا، إلاّ أنه بحسب العرف اختص لفظ الثواب بالخير، فإن حملنا لفظ الثواب هنا على أصل اللغة استقام الكلام، وإن حملناه على مقتضى العرف كان ذلك واردا على سبيل التهكم.

لقد جعل الفراء (ت 207 هـ) (الإثابة) في الآية نفسها بمعنى العقاب قولا واحدا، أي أنها من قبيل الاستعارة التهكمية، كما يدل على ذلك كلامه، فقد قال وقوله: ﴿فَأَثَابَكُمْ غُمَّاً بِغَمٍّ ﴾،[62] الإثابة ههنا في معنى العقاب... وقد يقول الرجل الذي قد اجترم إليك: لئن أتيتني لأثيبنّك ثوابك، معناه: لأعاقبنّك، وربما أنكره من لا يعرف مذاهب العربية، وقد قال تبارك وتعالى: ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾.[63] والبشارة إنما تكون في الخير، فقد قيل ذاك في الشّرّ.[64] كما أن الوعد يستعمل في الخير والشر، ويمكن أن يكون هذا محمولا على التهكم. قال الزمخشري عند تفسير قوله تعالى: ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً ﴾.[65] "والوعد يستعمل في الخير والشر، قال الله تعالى: ﴿ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[66]...".[67]

خلاصة واستنتاج:

بناء على كل ما تقدم ذكره نستخلص أن الإمام الزمخشري قد أشار إلى (الاستعارة التهكمية)، وعرض لها في تفسيره، وإن لم يذكرها بالاصطلاح، فقد دل عليها ـ كما قال ـ أحد الدارسين بمصطلح "استعارة النقيض للنقيض".[68] لكن الذي يعنينا هنا، هل أضاف الزمخشري جديدا لهذا المصطلح، يحسب له في هذا المضمار؟ وهو ما من شك صاحب اليد الطولى في التطبيق العملي للبلاغة العربية على ما اشتمل عليه التنزيل من الأسرار الكامنة وراء التعابير القرآنية التي تطالعنا في كل آية من آياته.

الواقع أننا قد استعرضنا بعض ما ذكره الزمخشري في هذا المجال، فرأينا أن شواهده كلّها مستمدة من القرآن الكريم، ومن إشارات المتقدمين ومباحثهم، ومن ثمة لا نستبعد أن تكون تحليلاتهم واجتهاداتهم وتنظيراتهم من الروافد التي أفاد منها واستشهد بها، وهو يبتكر لذلك التعبير الشائع في اللغة والقرآن مصطلحا جديدا على البحث البلاغي، أطلق عليه مصطلح (العكس في الكلام) تارة، أو (التعكيس في الكلام) تارة أخرى بغرض الاستهزاء في غيظ المستهزئ به، وتألمه واغتمامــه والتهكم به.[69]

والواقع أن هذا المصطلح (العكس في الكلام) لم نعد نراه على خريطة البحث البلاغي بوصفه دالا على هذا اللون من التعبير، وكأن الزمخشري قد اصطنعه لنفسه، وخصّ به تفسيره، ولعلّ ذلك يرجع ـ بوجه من الوجوه ـ إلى التباسه بطرائق تعبيرية أخرى أطلق عليه المصطلح نفسه، أو لفظ قريب منه، وقد تردّد من ذلك مصطلح (العكس) وهو أن يؤتى بالكلام وعكسه؛ وعكس الظاهر: وهو نفي الشيء بإثباته ؛ وعكس اللفظ، وعكس المعنى؛[70] يضاف إلى ذلك اختلاف مذاهب العلماء في النظر إليه، واضطرابهم أحيانا في تحديد هويته؛ فثمة من يحمله على التشبيه، أو الإسناد المجازي الذي تكون العلاقة فيه بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي هي (الضدّية) [71]، وهو محمل يرفضه عبد القاهر (ت 474 هـ) حيث يرى "أنه لا يجوز أن يكون سبيل قوله: (لعاب الأفاعي القاتلات لعابه، سبيل قولهم: (عتابك السيف). وذلك أن المعنى في بيت أبي تمام على أنه مشبّه شيئا بشيء وجامع بينهما في وصف، وليس المعنى في (عتابك السيف). على أنك تشبّه عتابه بالسيف، ولكن على أن تزعم أنه يجعل السيف بدلا من العتاب، أفلا ترى أنه يصح أن تقول: "مداد قلمه قاتل كسمّ الأفاعي" ولا يصح أن تقول: عتابك كالسيف، اللهم أن تخرج إلى باب آخر، وشيء ليس هو غرضهم بهذا الكلام...". [72] والذي تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أن السّكاكي (ت 626 هـ) كان مضطربا في تحديد هوية هذا اللون من التعبير، فتارة يلحقه بالاستعارة التهكمية أو التلميحية، بواسطة انتزاع التضاد وإلحاقه بشبه التناسب بطريق التهكم أو التلميح، [73] وتارة أخرى يجعله نوعا من الخروج عن مقتضى الظاهر في باب الاستدلال.[74] ولا يخفى أن هذا نهج كان ينتهجه السلف كلما عزّ عليهم وجدان المصطلح المناسب لما يقفون عليه من أساليب القرآن ولغة العرب، ولكن في ظل هذا الاختلاف بشأن هذا اللون من التعبير الذي تعددت مسمياته

بين (الاستعارة التهكمية) ومصطلح (التنويع)، و(العكس في الكلام)، لنا أن نتساءل: ما هو موقف البلاغيين منه؟ وأي المصطلحات الأنسب له؟ جوابا عن هذا السؤال نقول: لقد ظل الأمر يجري على هذه الوتيرة حتى جاء الشهاب الخفاجي (ت 1069 هـ) فوضع مصطلح (التنويع) الذي وصف به السّكاكي الوسيلة اللغوية للاستعارة التهكمية، فاتخذه مصطلحا لذلك اللون التعبيري، حيث عرفه وحدد هويته بأنه: نوع من خلاف مقتضى الظاهر يقال له التنويع، وهو ادّعاء أن للمسمى نوعين، نوعا متعارفا، وآخر غير متعارف على طريق التخييل، وذلك بأن ينزّل ما يقع في موقع شيء بدلا عنه منزلته بلا تشبيه ولا استعارة.[75]

و هذا التنويع ـ كما يقول ـ أبو موسى: "هو العكس الذي ذكره الزمخشري لأن أمثلة العكس تصلح كلها للتنويع، بل هي أهم نوع فيه.[76] ويؤيد ما ذكره قول الشهاب: وأهم نوع في التنويع "أن ينزّل ما يقع في موقع شيء بدلا عنه منزلته بلا تشبيه، ولا استعارة، كما في الاستثناء المنقطع وما يضاهيه، سواء كان بطريق الحمل كما في قوله: تحية بينهم ضرب وجيع، أو بدونه كما في قوله: فأعتبوا بالصّيلم، وحيث أطلق التنويع فالمراد به هذا".[77]

وعلى هذا الأساس يكون باب العكس، أو مصطلح (العكس في الكلام) كما يتصوره الزمخشري يشمل الاستعارة العنادية [78] (التهكمية) والتنويع. ومن أجل ذلك يبدو أن مصطلح (التنويع)، هو المصطلح الأنسب لهذا اللون من التعبير الشائع في اللغة والقرآن الكريم، إذ بتحديد هويته ومفهومه لا يلتبس بغيره من طرائق التعبير الأخرى، فهو ليس "من المجاز لذكر طرفيه مرادا بهما حقيقتهما، ولا تشبيها ؛ لأن التشبيه يعكس معناه ويفسده، ومنه يعلم أنه لا يصح فيه الاستعارة أيضا لابتنائها على التشبيه...".[79]

ولهذا كان موقف بعض الدارسين واضحا من الاستعارة التهكمية، ومن هؤلاء نذكر صاحب "البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري إذ يقول: "ولست أجد لهذا النوع مذاق الاستعارة، ولست أستسيغ أيضا تكلف إجرائها في هذه الأساليب"[80] ثم يردف قائلا أن طريقة الزمخشري التي تكتفي ببيان أصل هذه الطريقة وأنها من (العكس في الكلام) خير من تكلف الاستعارة التي ينزل فيها التضاد منزلة التناسب، وهو الرأي الذي يشاطره فيه بدوي طبانة، [81] الذي يرى أن الكلام كله فيما اصطلح عليه بالاستعارة التهكمية، لا علاقة له بالاستعارة، ذلك أن أمثلتها لا نجد فيها أثرا لعلاقة المشابهة، بل إن ما فيها يعد من "المجاز المرسل"، الذي تكون العلاقة فيه بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي هي "الضدّية"؛ وإن كان بعض العلماء يذكر في التشبيه أن الشبه ينتزع من نفس التضاد، نظرا لاشتراك الضدين فيه من حيث اتصاف كل واحد منهما بمضادّة صاحبه، ثم ينزّل منزلة شبه التناسب بواسطة تلميح أو تهكم، فيقال للجبان: ما أشبهه بالأسد، وأنت تقصد جبانا عظيم الجبن، وللبخيل: إنه حاتم ثان، وأنت تقصد بخيلا شديد البخل، ويبنون على هذا القول في التشبيه قولهم في الاستعارة، أي استعارة اسم أحد

الضدين أو النقيضين للآخر، بواسطة انتزاع شبه التضاد، وإلحاقه بشبه التناسب بطريق التهكم أو التلميح... كقولك: إن فلانا تواترت عليه البشارات بقتله، ونهب أمواله، وسبي أولاده[82]... وهم يخصون هذا النوع باسم الاستعارة التهكمية أو التلميحية.[83]

ولا يفوتنا التنبيه ههنا إلى أن الخطيب القزويني قد عدّ الاستعارة التهكمية من الاستعارة العنادية، فهذا الضرب من الاستعارة يتفرع عن الاستعارة العنادية، ذلك أن الاستعارة باعتبار الطرفين تنقسم إلى: وفاقية، وهي ما أمكن اجتماع طرفيها في شيء ممكنا لما بينهما من الاتفاق[84] كاستعارة الحياة للهداية، في قوله تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ﴾[85] أي: ضالا فهديناه، فإن المـراد بـ (أحييناه) هديناه، فاستعير الإحياء من جعل الشيء حيا للهداية، والهداية والحياة يجتمعان في شيء واحد. وعنادية وهي ما لا يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد لما بينهما من تعاند وتنافر. وصاحب هذه التسمية -فيما أظن- هو الخطيب القزويني (ت 739 هـ) حين قال عن الاستعارة «هي باعتبار الطرفين قسمان، لأن اجتماعهما في شيء، إمّا ممكن نحو (أحييناه) في قوله تعالى: ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾[86] أي ضالا، ولتسم وفاقية، وإمّا ممتنع كاستعارة اسم المعدوم للموجود، لعدم غنائه، ولتسم عنادية، ومنها التهكمية والتلميحية»[87] ومن أمثلة العنادية استعارة اسم الميت للحي الجاهل ، فإن الموت والحياة ممتنع اجتماعهما. فالجهل يفقد المرء ثمرة الحياة، وهي المعرفة، كقوله تعالى في حق الكافرين المصرين على الجهل بحقائق الدين: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى ﴾.[88] فقد استعير اسم الموتى للأحياء الكافرين لعدم الاعتداد بصفة الحياة التي فيهم، لأنهم لم ينتفعوا بثمرتها ؛ لكن السؤال الذي يجب أن يطرح هنا: هل فرّق العلماء بين التهكمية والتلميحية، أم هما مترادفان؟

الفرق بين التهكمية والتلميحية:

اللافت أن بعض الباحثين قد فهم من كلام الخطيب السابق أن العنادية نوعان: عنادية عامة وعنادية تهكمية تلميحيّة[89] وفي هاتين الاستعارتين ـ التهكمية والتلميحية ـ يستعمل اللفظ في ضده، أو نقيضه، "فإذا كان الغرض من هذا الاستعمال الهزء والسخرية، بالمقول فيه كانت الاستعارة تهكمية، وإذا كان الغرض بسط السامعين وإزالة السآمة عنهم بواسطة الإتيان بشيء مستملح مستظرف كانت الاستعارة تلميحيّة".[90] فقولك: رأيت أسدا، وأنت تريد رجلا جبانا، ففي تشبيه الجبان بالأسد استعارة تهكمية تلميحية، يتوقف قصدها على مراد المتكلم، فإن قصد إلى التهكم بالشخص الذي قيلت فيه الاستعارة كانت الاستعارة تهكمية، وإن قصد إلى مداعبة السامعين كانت الاستعارة تلميحيّة، وسواء أكانت الاستعارة تهكمية، أم كانت تلميحية فهي عنادية، لعدم إمكانية اجتماع الشجاعة والجبن.

ويرى بعض المحدثين من خلال دراسة شواهد الاستعارتين الوفاقية والعنادية تفوق الاستعارة العنادية، واحتمالها لنواتج إضافية مثل التهكم والتلميح، "وهو ما لم يتحقق مع الاستعارة الوفاقية التي تتميز بالمحدودية في مساحتها، فلا يتاح لها إلاّ إنتاج دلالتها المجازية فحسب، فضلا عما تحتاجه العنادية من حركة ذهنية مكثفة تستطيع تقبّل المفارقة الضدية في المحل الواحد أي مجاوزة المدرك المنطقي واللغوي وتشكيل قالب فكري طارئ يتحمل هذه النواتج المتنافرة".[91]

و إذا عدنا ونظرنا إلى قوله تعالى: ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾[92] وهو من الشواهد المشهورة، وجدنا ـ إذا تأملنا ـ دقائق في هذه الصورة القرآنية، تملأ القلب إعجابا باللغة، وإعجابا بمرونتها وخصوبتها. وعلى قدر ما في نفوسنا من خصوبة، وما في ملكاتنا من قدرة على الفهم والتصور والاستيعاب، تكون قوة الاستعارة، ويكون ثراؤها وأثرها في نفوسنا.

فالمراد بالميت في الآية الضال، فقد شبه به، واستعير له، كما أن المراد (أحييناه) هديناه... فالآية إذن تذكر حالين أو مرحلتين من مراحل حياة الإنسان: الأولى كان فيها ميتا، وهو في الثانية حي، والواقع أن هذا الإنسان كان حيا في الحالين حياة بمعناها المتعارف، ولكنه لما كان منطفئ الفطرة معطل الإدراك، جعل ميتا، وكأن غاية الحياة إنما هي في استقامة الفطرة، وسلامة النظر في معرفة الحق والخير؛ في الإيمان.

فالموت هنا له مفهوم جديد ربما كان انغماس النفس في ظلمة الحيوانية والجهل، وبقاء الروح مكفوفة الإدراك، تخبط في الأرض من غير غاية نبيلة تسعى إليها لتسعد بها سعادة أبدية ـ إنها سعادة الإيمان. إن الحياة في هذه المرحلة حياة وموت معا؛ لأنه يحيا ويتقلب كما يتقلب كل حي، ولكن هنا معنى قلبي ينقصه، فسلب معنى الحياة من هذه الحياة...

الضلال أيضا له مفهوم جديد بهذه الاستعارة، لأنه لم يعد ضلالا، وإنما صار موتا... كما أن الموت له أيضا مفهوم جديد، لأنه ليس إبطالا للأحوال الجسمية، وإنما هو إبطال للطاقات الروحية... وكذلك الاستعارة في (أحييناه)، ليست الحياة فيها هي الحياة المألوفة، وإنما هي الهداية التي صارت بدورها حياة، أو ضربا من الحياة غير مألوف، لأنها تعني خلوص النفس مما يثقل نهوضها السامي الذي تهتف به فطرتها الطاهرة النازعة نزوعا إلى الحق والمثل الأعلى...

الاستعارة هنا جددت معاني الكلمات، وأثرتها، وأفرغت فيها فكرا جديدا، وحسا جديدا، صرنا نرى حياة ولكنها ليست حياة بالمعنى المتداول، ونرى هداية ، ولكنها ليست هداية بالمعنى المتداول أيضا وكأننا أمام حقيقة ثالثة، ليست المستعار منه ، ولا المستعار له ، أعني ليست الطرفين اللذين زاوجنا بينهما، وإنما هي شيء ثالث ولّده هذا

التزاوج، والتداخل، وهذا هو الفرد الثالث، أو الفرد غير المتعارف كما يسميه السّكاكي، وإن شئت قلت الفرد اللغوي أو المألوف اللغوي.[93]

وهكذا تبلغ الاستعارة غاية شرفها، ويتسع لها كيف شاء المجال في تفننها وتصرفها، فترى في الكلام شيئا آخر فيه خطرات يختلج بها القلب، لا يدركه إلاّ بالفطنة، ولا نعيه إلاّ بالعقل، ولا نتذوقه إلاّ بملكاتنا وطاقاتنا الهائلة، وقواها الظاهرة والخفية.

خاتمة

ختاما لهذه الدراسة يمكن استخلاص ما يلي:

1. لقد حاول الزمخشري أن يضع يده على هذا اللون من التعبير الذي يقوم مفهومه ـ رغم تغاير مصطلحه، وتفاوت العبارة عنه ـ على عنصر المفارقة اللغوية بإحلال صيغة محل أخرى، إمّا للتهكم أو التلميح، اتساقا مع الصياغة والمقام والغرض الذي يتغياه السياق، ليبتكر له مصطلحا جديدا أطلق عليه (العكس في الكلام)، أو (التعكيس في الكلام)، أو عبارة (عكسوا ليتهكموا)، مستندا في مرجعيته على بيان أصل هذه الطريقة، وأنها من (العكس في الكلام)، وهي خير من تكلف الاستعارة التي ينزّل فيها التضادّ منزلة التناسب، إذ حمله على التشبيه يفقده مزيته، إلاّ أنّ هذا المصطلح لم نعد نراه على خريطة البحث البلاغي، وكأن الزمخشري قد اصطنعه لنفسه، وخصّ به تفسيره، كما نراه أحيانا يستعيض في الدلالة على هذا المصطلح بالتنظير له من شواهده المتوارثة ممن سبقوه، ومن ثمة فهو حسب تصور الزمخشري يشمل الاستعارة العنادية (التهكمية) والتنويع عند المتأخرين.

2. إن مصطلح (الاستعارة التهكمية) مصطلح تعددت مسمّياته، كما تعددت مذاهب العلماء ووجهات النظر إليه، إلى درجة اضطرابهم في تحديد هويته، ولعل ذلك راجع إلى التباسه بطرائق تعبيريّة أخرى، أطلق عليها المصطلح نفسه، أو لفظ قريب منه.

3. إن نفوسنا لا تكاد ـ من الجهة البلاغية الخالصة ـ تطمئن كثيرا إلى ما ذهب إليه البعض من إطلاق مصطلح (الاستعارة التهكمية) على هذا اللون من التعبير؛ فعسى أن نهدى يوما إلى إيجاد مصطلح دقيق وملائم لذلك، فإنه يبدو ـ في اعتقادنا ـ أن مصطلح التنويع الذي وضعه الشهاب الخفاجي هو الأنسب لهذا اللون من التعبير الشائع في اللغة والقرآن الكريم، وهو ما نستخلصه من توجه أو موقف بعض الدارسين أمثال، د/ بدوي طبانة، ود/ محمد محمد أبو موسى، سندهم في ذلك أن الكلام كله فيما اصطلح عليه بالاستعارة التهكمية لا علاقة له بالاستعارة أو مذاق الاستعارة، وإنما هو تكلف في إجرائها في مثل هذه الأساليب التي ينزّل فيها التضاد منزلة التناسب لأجل تهكم أو تلميح، بأن يستعمل اللفظ الموضوع لمعنى شريف على ضده أو نقيضه، كإطلاق البشارة

على الإخبار بما يسوء، وهو أسلوب من أساليب العربية يسمى كما هو شائع في علم البيان بالاستعارة التهكمية بدليل أن بعض علماء البلاغة يجعلون مثل ذلك مجازا، ويسمونه استعارة عنادية، ويقسمونها إلى تهكمية وتلميحية، فالتهكمية المقصود منها التهكم والاستهزاء، والتلميحية يقصد منها التلميح والظرافة، وبالمحصلة يسوغ لنا القول إنه ليس من شك بعد هذا الذي ذكرناه من أن هذا الاستعمال في الضد معدود عند علماء البيان من الاستعارة ويسمونها تهكمية وهو المصطلح الأكثر انتشارا وتداولا، لأن تشبيه الضد بضده لا يكون حسب ما شاع بينهم وتعارفوا عليه إلا على معنى التهكم.

المصادر والمراجع

1 . ينظر معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، لأحمد مطلوب مكتبة لبنان ـ ناشرون ـ إعادة طبع 2000 ـ ص: 96 أو 95.

2 . المصدر السابق نفسه، ص: 96.

3 . مفتاح العلوم، للسّكاكي حققه وقدم له وفهرسه: د/ عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 (1420هـ-2000م)، ص: 483.

4 . معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، لأحمد مطلوب، ص: 95.

5 . مفتاح العلوم، للسّكاكي، ص: 483.

6 . البلاغة العالية – علم البيان – لبعد المتعال الصعيدي الطبعة الأولى في العالم عن مخطوطة بخط المؤلف، مكتبة الآداب، القاهرة 1420هـ - 2000م، ص: 114، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، لأحمد مطلوب، ص: 95، حيث يذكر أن القزويني يعد التهكمية من العنادية.

7 . أساس البلاغة للزمخشري، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د . ت، مادة (هكم)، ص: 486.

8 . النساء: 138.

9 . الدخان: 49.

10 . بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1957، ص: 284.

11 . ينظر تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري، تحقيق وتعليق محمد مرسي عامر، مراجعة الطبع د/ شعبان محمد إسماعيل، الناشر دار المصحف، القاهرة، ط2، 1397-1977، ج3، ص: 128.

12 . التصوير البياني - دراسة تحليلية لمسائل البيان، د/ محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط4، 1418هـ - 1997م، ص: 228.

13 . الصافات: 62.

14 . الكشاف: ج5، ص: 114 - تحقيق: م. مرسي عامر.

15 . المصدر السابق نفسه، ج5، ص: 114.

16 . الكهف: 102.

17 . آل عمران: 21.

18 . الكشاف: ج6، ص: 152.

19 . هود: 87.

20 . العنكبوت: 45.
21 . الكشاف: ج3، ص: 51 (مرسي عامر).
22 . العنكبوت: 45.
23 . البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات القرآنية: محمد محمد أبو موسى مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1408هـ -1988م ص: 509.
24 . البقرة: 25.
25 . آل عمران: 21، التوبة: 34، الانشقاق: 24.
26 . فأعتبوا بالصّيلم: أي أزيل عتبهم بالسيف، وهو من بيت بشر بن حازم الأسدي:

غضبت تميم أن نقتّل عامرا يوم النّسار فاعتبوا بالصّيلم

النسار: اسم ماء لبني عامر ، والمعنى: غضبت علينا تميم من قتل حلفائهم ، فأنها اعتبت علينا لضعفها ، فأزلنا عتابهم بالسيف القاطع، ينظر مشاهد الإنصاف بهامشه، ولسان العرب: لابن منظور، مادة (صلم).
27 . الكشاف: ج1، ص: 53.
28 . مطوّل على التلخيص: سعد الدين التفتازاني، مطبعة أحمد كامل، 1330هـ ، ص: 365.
29 . آل عمران: 21.
30 . معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، لأحمد مطلوب، مادة (ا. س. ت)، ص: 95.
31 . ينظر: الكشاف، ج1، ص: 53.
32 . آل عمران: 21، التوبة: 34، الانشقاق: 24.
33 . يس: 11.
34 . آل عمران: 21.
35 . لسان العرب، مادة: (بشر) لابن منظور المصري (ت 711هـ) بتحقيق الأساتذة عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، طبعة دار المعارف، القاهرة، د. ت، مادة (بشر).
36 . الحجر: 6.
37 . آل عمران: 21، التوبة: 34، الانشقاق: 24.
38 . هود: 87.
39 . الكشاف: ج3، ص: 128.
40 . علم البيان، دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية: بداوي طبانة، -دار الثقافة- بيروت لبنان (1401هـ -1981م)، ص: 193.
41 . هود: 87.
42 . هود: 87.
43 . بضّ الماء: سال قليلا قليلا، والبضّ: أدنى ما يكون من السيلان، والمعنى: ما تندى صفاته، وهو مثل يضرب للبخيل الذي لا خير فيه، ولا ينال منه نفع ولا يعطي شيئا، ينظر هامش الكشاف: ج3، ص: 51، ومجمع الأمثال للميداني، ط، دار الجيل، بيروت، 1407هـ ج3، ص: 181. و ينظر لسان العرب، مادة (بضض).
44 . الكشاف، ج3، ص: 51.
45 . من بلاغة النظم القرآني: د/ بسيوني عبد الفتاح فيود، مطبعة الحسين الإسلامية، ط1، (1413هـ -1992)، ص: 365.

و ينظر لسان العرب، مادة (بضض).

46 . النساء: 138.

47 . الكشاف، ج1، ص: 278.

48 . الدخان: 49.

49 . الكشاف، ج5، ص: 242.

50 . الدخان: 47، 48، 49.

51 . الكشاف، ج5، ص: 241.

52 . الصافات: 23.

53 . الكشاف، ج5، ص: 110.

54 . من بلاغة النظم القرآني: د/ بسيوني عبد الفتاح فيود، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، ط1، 1413هـ -1992م، ص: 365.

55 . علم البيان، بدوي طبانة، ص: 193، وينظر معجم المصطلحات البلاغية لأحمد مطلوب، مادة (ت. هـ. ك)، ص: 429-430 حيث ذكر أن التهكم في اللغة بمعنى الاستهزاء مطلقا، وفي الاصطلاح هو الخطاب بلفظ الإجلال في موضع التحقير، والبشارة في موضع التحذير والوعد في مكان الوعيد، والمدح في معرض السخرية ونحو ذلك، وأشار إلى أن الزمخشري قد ذكر التهكم في تفسيره، وقال المصري أن هذا الفن من مبتدعاته وأشار إلى الزمخشري، وكلامه حق إذا أريد به أنه أول من عقد للتهكم بابا، لأن البلاغيين السابقين لم يذكروه.

56 . المائدة: 60.

57 . هذا عجز بيت صدره: وخيل قد دلفت لها بخيل.

لقد نزّل الشاعر الضرب الموجع منزلة التحية، أو تنزّل المتعارف، وهو الضرب منزلة غير المتعارف وهو التحية، والمقام بعد ليس مقام تحية وتقدير، إذ جعل الضرب الوجيع تحية أي قائما مقامها على سبيل الفخر بنفسه، والاستهانة بأعدائه.

ينظر: الاستغناء في أحكام الاستثناء: لشهاب الدين القرافي، تحقيق: طه محسن، مطبعة الرشاد، بغداد، 1402هـ، ص: 448-449.

58 . آل عمران: 21.

59 . الكشاف، ج2، ص: 35.

60 . آل عمران: 153.

61 . الكشاف، ج1، ص: 206.

62 . آل عمران: 153.

63 . آل عمران: 21.

64 . معاني القرآن: لأبي زكريا الفراء (ت 207هـ)، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط2، 1980، ج1، ص: 239.

65 . البقرة: 268.

66 . الحج: 72.

67 . الكشاف، ج1، ص: 152 ونحوه ينظر مثلا: الأنفال : 35، الكشاف، ج2، ص: 166.

الشعراء: 88-89، " ، ج4، ص: 172. مريم : 76، الكشاف ، ج4، ص: 19-20.

68 . البلاغة القرآنية تطور وتاريخ: شوقي ضيف، طبعة دار المعارف بمصر، 1965، ص: 282.

و مفهوم الاستعارة: أحمد عبد السيد الصاوي –الهيئة المصرية العامة للكتاب- فرع الإسكندرية 1979، ص: 182.

69 . ينظر الكشاف، ج1، ص: 53، وينظر الكشاف، ج3، ص: 128.
70 . ينظر معجم المصطلحات البلاغية تطورها، لأحمد مطلوب، مادة (ع. ك. س)، ص: 533-535.
71 . ينظر: -علم البيان- دراسة تارخية فنية في أصول البلاغة العربية — د/ بدوي طبانة- دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1401هـ - 1981م -طبعة مزيدة منقحة-، ص: 192.
72 . دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق الشيخ محمود محمد شاكر، نشر مكتبة الخانجي القاهرة، 1984، ص: 372.
73 . ينظر: مفتاح العلوم، للسّكاكي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط2، 1990، ص: 204-205.
74 . ينظر: المصدر السابق، ص: 277-278.
75 . ينظر: حاشية الشهاب الخفاجي، المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، دار صادر، بيروت، د. ت، ج2، ص: 60 بتصرف.
76 . البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، ص: 511.
77 . حاشية الشهاب الخفاجي، ج2، ص: 61.
78 . من العنادية الاستعارة التهكمية التي هي ضرب تتفرع عنها، ومن أمثلة العنادية استعارة اسم الميت للحي الجاهل فإن الموت والحياة ممتنع اجتماعهما. ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها لأحمد مطلوب مادة (ا. س. ت)، ص: 97.
و ينظر: بغية الإيضاح، للشيخ عبد المتعال الصعيدي، المطبعة النموذجية، ج3، 1973، ص: 121-122.
و ينظر: الإفصاح عما تضمنه الإيضاح من مباحث البيان، د/ أحمد محمد النجار، مطبعة الاتحاد العربي، 1973، ص: 163-166.
79 . حاشية الشهاب، ج2، ص: 61.
80 . البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، ص: 509.
81 . ينظر: علم البيان، بدوي طبانة، ص: 192-193.
82 . مفتاح العلوم للسّكاكي، ص: 483.
83 . ينظر علم البيان، بدوي طبانة، ص: 192-193.
84 . ينظر معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، لأحمد مطلوب، مادة (ا. س. ت)، ص: 104.
85 . الأنعام: 122.
86 . الأنعام: 122.
87 . الإيضاح في شرح: تلخيص المفتاح، للخطيب القزويني، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ص: 82-83.
88 . النمل: 80.
89 . الإفصاح عما تضمنه الإيضاح من مباحث البيان، أحمد محمد النجار، ص: 163-166.
90 . البيان في ضوء أساليب القرآن الكريم: عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي، 2002، ص.181
91 . البلاغة العربية قراءة أخرى، د/ محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العامة للنشر لو نجمان، 1997، ص: 175-176.
92 . الأنعام: 122.
93 . التصوير البياني: محمد محمد أبو موسى، ص: 221-222.